العادات والتقاليد والمعتقدات في رواية مملكة الزيوان لحاج أحمد الصديق

customs، traditions and believes in hadj Ahmed Essaddik's novel Mamlaket Ezziouan

طالبة دكتوراه/ رابح زهراء
الأستاذ الدكتور/سليمان قوراري

قسم اللغة العربية وآدابها _جامعة أحمد دراية _أدرار(الجزائر)

مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا ، جامعة أحمد دراية أدرار.

zizozozou@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/10/19 تاريخ القبول: 2020 /08/16 تاريخ النشر: 2020/11/30

ملخص:

رواية مملكة الزيوان لحاج أحمد الصديق واحدة من الروايات الصحراوية الغنية بتوظيف التراث الشعبي، الذي يعكس واقع الحياة الثقافية والاجتماعية والعلمية لأهل توات .

ومن خلال هذا البحث سنقف على بعض العادات والتقاليد والمعتقدات عند أهل توات؛ لنبين أبعادها ودلالاتها التراثية، ومدى تمسك أهل المنطقة بها، وقد بلغ إيمانهم بها حدا جعل بعضهم يخالف حتى الشّرع كممارسة طقوس السّحر. كما أنّ بعضها ما زال يمارس لحد السّاعة على الرّغم من الجهود الإصلاحية التي بذلها رجال العلم والإصلاح؛ نظرا لسلطان العادة، وعدم تبلور المفهوم الصّحيح للعبادة، هذا مع التّأكيد على الجانب الإيجابيّ لبعض العادات والتّقاليد الحسنة في ضمان تماسك النّسيج الاجتماعيّ ودورها الكبير والفعّال في الحفاظ على ذاكرة الشّعوب وتراثها.

كلمات مفتاحية: العادات؛ التقاليد؛المعتقدات؛ مملكة الزيوان؛ الصّحراء؛ توات

Abstract :

Elhadj Ahmed Essaddik's novel « Mamlakat Ezziouan » is one of the saharian novels that is rich of using popular heritage which reflects the reality of cultural , social and scientific life of Touat population .

Through this research we will see some customs , traditions and believes of Touat people . In doing so , we aimed at identifyig its concepts and how important they were as cultural heritage and how much people of this region are failhful to them . as they strongly believers of those concepts , they sometimes contradict and violate relegious regulations as believing in magic . The majority of them are still practising magic nowadays. Even though they were very old actions . Inspite of the remedial efforts that were made by the scientists , because of the dominance of traditions and the ambiguity of the concept worship , this of course was the positive side of some useful habits and traditions to ensure the unification of the community and its effective contribution to preserve the societies memories and cultural heritage .

Keywords : habits; customs; believes; Mamlakat Ezziouan; the Sahara; Touat .

I-مقدمة

إنّ التّراث الشّعبيّ جزء أساسٌ من كيان الأمّة، ومقوّم حاسم وفعّال من مقومات الشّخصية الفردية، لذا ازداد الاهتمام به في العقود الأخيرة، حيث تعدّدت مفاهيمه وتوظيفاته وكثر التأليف في إحيائه واستلهامه في شتّى مجالات الفنّ والإبداع؛ بحثاً في ثناياه عن قيم أصلية تكون مصدر إلهام المبدعين في إنتاج تجاربَ فنيةٍ متميّزةٍ، كما أنّ له عدّةَ مصطلحاتٍ أطلقها عليه الباحثون والدّارسون؛ من بينها مصطلح علم الفلكلور، وهذا ما يؤكّده بليحيا الطّاهر في قوله « اصطلح الفلكلور في معظم الأقطار، ليدلّ على ما يتّصل بالمجتمع في عاداته وتقاليده وطقوسه في المناسبات المختلفة؛ مثل الزّواج والوفاة و الختان....الخ، ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليوميّة، وفي علاقاتهم مع الآخرين من خلال المناسبات التي يعيشها الفرد داخل أسرته »[1].

وعليه فالتّراث الشّعبي ذخيرةٌ تعرّفنا بالحياة الذّهنيّة والرّوحيّة لأسلافنا الأقدمين، وتضمّ هذه الذّخيرة العاداتِ والتّقاليدَ والمعتقداتِ والفنونَ الشعبيّةَ والأمثالَ والأقوالَ المأثورةَ، وبواسطته يمكن أن نفهم دلالاتِ التّنوّع الثّقافيّ لهذا الشّعب، ولذلك سنحاول في هذا المقال الكشف عن بعض الجوانب من هذا التّراث الشّعبي، من خلال الاقتصار على العادات والتّقاليد والمعتقدات في رواية مملكة الزّيوان لحاج أحمد الصّدّيق، التي تعدّ روايةً تاريخيّة انتربولوجية، حاولت رصد التّحولاتِ و التّمظهرات العميقة التي مرّ بها المجتمع التّواتيّ.

وهو ما سنوضّحه من خلال الإجابة عن الإشكاليّة التّاليّة:

-أين تتجلّى تلك العاداتُ والتّقاليدُ والمعتقداتُ في رواية مملكة الزيوان؟ - وما أبعادُها ودلالاتُها التّراثية؟- وما الهدفُ الذي يرمي إليه الرّوائي من خلال توظيفِه لعادات وتقاليد منطقته؟

وذلك كلّه وفق خطة مفادها ما يلي:

1)- مفهوم العادات والتّقاليد والمعتقدات.

2)- لمحة موجزة عن الرّواية والرّوائي.

3)- العادات والتّقاليد والمعتقدات في رواية مملكة الزيوان.

2-مفهوم العادات والتّقاليد والمعتقدات.

2-1 المفهوم اللّغويّ للعادات:

المفرد منها "عادةٌ" وهي ما يعتاد الإنسان ويعود إليه في مناسباتٍ كثيرة، وتجمع على "عادات" و"عوائد"، والعادة كما ذكر ابن منظور هي من « العَودة أو ما يُعاد إليه معروفة، وجمعها عَاداتٌ وعيد...وتعوّد الشّيء وعَادَه مُعَاودة وعِواداً، واعتَاده واستعاده وأعاده أي صار عادة له»[2].

2-2 المفهوم الاصطلاحيّ للعادات:

هي ظاهرة أساسيّة من ظواهر الحياة الاجتماعية، موجودة في المجتمعات التّقليديّة يتمتع فيها التراث بقوّة قاهرة، وإرادة مطلقة، وهذا ما يؤكّده محمد الجوهريّ بقوله: « ولذلك فمن الخطأ الكبير الاعتقاد بأنّنا لا يمكن أن نلتمس العاداتِ الشعبيّةَ أو العاداتِ الاجتماعيّةَ إلاّ في التّقاليد العتيقة المتوارثة فحسب، أما أنه من العبث الاقتصار عند محاولة تفسيرها على إرجاعها إلى صورها القديمة، وأصولها الغابرة، فالعادات الشّعبيّة ظاهرة تاريخيّة، ومعاصرة في نفس الوقت»[3]. ولكن حتى يمكن توصيف إحدى الظّواهر الاجتماعيّة وتصنيفها ضمن العادات، لابُدَّ من الشّرط والامتداد الزّمني؛ حتّى تكتسب تلك القيمةَ التّاريخيّةَ أو التّقديسيّة لمجتمع ما. وتتشكّل العادة بتكرار مجموعةٍ من السّلوكيات الاجتماعية التي يتناقلها أفراد المجتمع في محتواها وطريقة تأديتها من جيل لآخر، فتبقى سلوكاً متكرّراً ومكتسباً اجتماعياً، فَيُتَعَلم اجتماعيّاً، ويُمَارسُ اجتماعيّاً، ويُتوارث اجتماعيّاً.

2-3المفهوم اللّغويّ للتّقاليد:

فقد جاءت من "قلّد" فتقول: قلد السيف أي جعل حمالته في عُنقه، أمّا قلّده في عمله؛ فَعَلَ مثلَ ما فعله، وتقول: قلّد المرأةَ قلادة؛ جعلها في عنقها، وقلّده العمل؛ فوّضه إليه، وقلّده في الأمر؛ اتَّبَعَهُ فيه من غير نظر، وجاء في لسان العرب لابن منظور: « قلّده الأمر؛ ألزمه

إيّاه وهو مثل بذلك التهذيب وتقليد البدنة أيْ جعل في عنقها عروة»[4]. وبذلك يكون التقليد المحاكاة والاتّباع.

2-4المفهوم الاصطلاحي للتّقاليد:

التّقاليد هي عبارة عن« مجموعة من قواعد السّلوك التي تنشأ عن الرضا والاتّفاق الجماعي، وهي تستمد قوتها من المجتمع، وتحتفظ بالحكم المتراكمة، وذكريات الماضي التي مربها المجتمع، يتناقلها الخلف عن السّلف جيلا بعد جيل»[5] وترتبط التّقاليد ارتباطا وثيقاً بالماضي والأجداد، وذلك من خلال المحاكاة لسلوكهم؛ فيحدث التزاوج بين قيم الحاضر، وقيم الماضي بعاداته وتقاليده، والتّقاليد فيها ما هو سلبيّ ناتج عن ضعف العقل، وعدم التّحرّر من الأوهام، والخيالات الخرافية، ومنها ما هو إيجابيّ؛ يتّفق والأخلاق الكريمة، وما تشجّعه العقول والفِطَر السّليمة الصّحيحة، جاء في تفسير المنار:" قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ مَا مَعْنَاهُ: وَلِضَعْفِ الْعَقْلِ أَسْبَابٌ: مِنْهَا: مَا هُوَ فِطْرِيٌّ كَمَا هُوَ حَالُ أَهْلِ الْبَلَهِ وَالْعَتَهِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُكَلَّفُ صَاحِبُهُ وَلَا يُلَامُ. وَمِنْهَا: مَا يَكُونُ مِنْ فَسَادِ التَّرْبِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ كَمَا هُوَ حَالُ الْمُقَلِّدِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ، وَإِنَّمَا يَكْتَفُونَ بِمَا عَلَيْهِ قَوْمُهُمْ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ، وَيَرِيْنُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَمَا يَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ، وَلَا يَعْتَنُونَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ تَمْزِيقِ هَذِهِ الْحُجُبِ وَإِزَالَةِ هَذِهِ السُّحُبِ، لِلْوُقُوفِ عَلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ مُخَدِّرَاتِ الْعِرْفَانِ وَنُجُومِ الْفُرْقَانِ وَشُمُوسِ الْإِيمَانِ، بَلْ يَكْتَفُونَ بِمَا حَكَى اللهُ عَنْهُمْ»[6] فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

وإضافة إلى مصطلح العادات والتّقاليد داخل المجتمع هناك ما يسمّى "بالعُرف" الذي هو عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جوّ الجماعة، وتمثّل مقدّسات الجماعة، ومحرّماتها، وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال، وما يلجأون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعيّ. ويعرّفه الجُرجانيّ في كتاب التّعريفات : "العرف: ما استقرّت النّفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول، وهو حجّة أيضًا، لكنه أسرع إلى الفهم."[7]

وكلمة "عُرْف" في المصادر العربية، تشير إلى كلّ أنواع الطّرق الشّعبية والممارسات الاجتماعيّة الإلزاميّة وغير الإلزامية؛ لذلك كثيراً ما يجعلونها مرادفاً لمصطلح "عادات اجتماعية"، حيث يعتبر العُرفُ فرعاً من فروع العادات الاجتماعية؛ لأنّه طرق وأساليب تخلّفها الحياة الاجتماعية، والضّرورة المعيشة لتنمو مع الزمن وتزداد ثباتاً وأصالة.

2-5 المعتقدات الشعبيّة:

تعتبر المعتقدات الشّعبية كلّ ما يؤمن به الفرد والجماعة، فيما يتعلّق بتلك التّصوّرات حول الحياة والوجود والعالم الخارجي، والقُوى الخفيّة المسيطرة والمتحكّمة في تسيير الحياة

الكونيّة، ويرى محمد الجوهري بأنّها « تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرّك النّاس إزاء الظّواهر الطبيعيّة العاديّة والشاذّة؛ كتصورات النّاس حول الزّلازل والبرق والخسوف وكذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظّواهر الفيزيقية والنّفسية؛ كالأحلام والنّوم والميلاد والولادة والخلاص والموت ورؤية المستقبل»[8]. كما يعتقدون الضّرر والنفع أيضاً في الأحجار المنصوبة والأشجار والحيوانات وفي بركة الأولياء، وأضرحة الأموات منهم، بالإضافة إلى السّحر والطّلاسم والشّعوذة والتّنبّؤ بالمستقبل، ومحاولة استطلاع الغيب، والاعتقاد في الأعداد والكلمات، والنّوم والأحلام والألوان والتفاؤل والتّشاؤم.

3- لمحة موجزة عن الرّواية والرّوائيّ.

3-1رواية مملكة الزّيوان:

مملكة الزّيوان هي الرّواية البِكر، للرّوائي المبدع حاج أحمد الصّديق، الصّادرة عن دار فيسيرا للنّشر والتوزيع سنة 2013، كما صدرت بحلّتها الجديدة عن دار فضاءات في العاصمة الأردنيّة سنة 2015، و تتكوّن الرّواية من 14 فصلاً، وخلال هذه الفصول لم يفوّت الرّوائي حديثاً إلاّ وسجّله عن المنطقة، وكأنّه بهذا العمل يؤرّخ للمكان أكثر ممّا يكتب قصة، كما يمكن أن تعتبر سيرةً ذاتيةً للكاتب، إضافة إلى كونها سيرةَ مجتمعٍ تواتيّ.

و"الزّيوان" الذي سُمّيت به هذه الرّواية؛ نعني به في اللّهجة التواتيّة المحليّة عرجونَ التّمر اليابس الذي يقطع من النّخيل، التي تحيط بقصورنا الشّاسعة، نظراً لأهميتها في حياة سكّان الصّحراء «من تبلكوزة نواحي قورارة شمالاً، إلى فقّارة الزّوى بعين صالح نواحي تديكلت جنوباً، مروراً لما بينهما لأهل توات الوسطى»[9]. وفي تقديم الرّواية يرى السّعيد بوطاجين أنّ « مملكة الزّيوان هي تجربة عن مدينة أدرار، تنزع إلى الاهتمام الشّديد بخصوصية المكان والمعجم والمعنى، وبعض العادات، وبحكايات تحتيّة لا يمكن أن تُزهر إلاّ هناك بعيداً عن صخب المدن التي فقدت ملامحها»[10].

وبهذا تتّضح الصّورة التخيّلية الإبداعيّة النّابعة من أعماق وصميم العالم الصحراويّ الغنيّ بمكوناته التّراثيّة، وخصائصه الاجتماعية التي تعبّر بصدق عن واقع قصورٍ من طوب، عاشت لقرون عديدةٍ مع ساكنتها المتعاقبين عليها جيلا بعد جيل، وهم يتنفّسون رائحة الجريد والكرناف وهو يحترق تحت القدور، وحياتهم قائمة على البساطة، وما تمنحهم الأرض من خيراتها وبركاتها بفضل الله، وبرحمته اللامتناهية. هذه لمحة موجزة عن مملكة الزيوان، أمّا عن صاحب الرّواية فيمكن القول عنه مايلي:

3-2حاج أحمد الصّديق:

وجه غارقٌ في صحرائه، مفتون برملها وطينها حدّ الهوس، نشأ بالوسط القصوريّ الطّيني اللوحاتيّ من الصّحراء الجزائرية، من مواليد 19/12/1967 بزاوية الشّيخ المغيلي بولاية أدرار، مهتمّ بالدّراسات اللّسانية والأدبية وكذا التّاريخية[11].

تلقّى تعليمه القرآنيّ بمسقط رأسه(زاوية الشيخ المغيلي على يد الشيخ الحاج أحمد لحسين الدمراوي تحصل على شهادة الباكلوريا واللّيسانس والدّكتوراه، يشتغل الآن أستاذاً للتّعليم العالي لمقياس اللّسانيات وفقه اللّغة بجامعة أدرار[12]، كما يشغل مسؤولية مُديرٍ لمخبر الفضاء الصّحراوي في مدوّنة السّرد الجزائريّ بجامعة أدرار . من نتاجه الإبداعي المنشور في مجال الرّواية نجد:

- رواية مملكة الزّيوان الصّادرة عن دار فيسيرا ط1 2013 وط2 عن دار فضاءات الأردنية 2015.

- رواية كامراد رفيق الحيف والضّياع ط1 2016 عن دار فضاءات الأردنية وط2 2016 مشتركة بين دار فضاءات الأردنية ودار ميم الجزائرية.

ومن تأليفه أيضاً:

- التاريخ الثقافي لإقليم توات ط1 عن مديرية الثقافة لولاية أدرار 2003 وط2 عن دار الحبر الجزائرية 2011م.

- الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب للتوزيع والنشر، وهران، الجزائر 2009.

- الدّراسات اللّغويّة بتوات- أطروحة دكتوراه تحت النّشر.

- رقوش،نصوص سردية وحفريات أنثروبولوجية من عالم الصّحراء عن دار بوهيما ط 1 سنة 2018.

- رحلة إلى بلاد السّافانا : مالي _النيجر _السودان ،ط1 ، منشورات الوطن اليوم ، أكتوبر ، 2019.

4- العادات والتّقاليد والمعتقدات في رواية مملكة الزّيوان.

لقد حظيت العادات والتّقاليد والمعتقدات الشّعبية باهتمام كبير من قبل بعض الرّوائيين، حيث وظّفوها بشكل كبير باعتبارها تراثاً شعبياً غنيّاً وثرياً بمختلف جوانب الحياة اليوميّة التي تمسّ الإنسان الشّعبي البسيط، وقد اهتم الرّوائي حاج أحمد الصّديق بكلّ تلك العادات والتّقاليد والمعتقدات الاجتماعية الموجودة في بيئته المحلية التواتيّة، ورصدها لنا بشكل دقيق

ومفصّل(من طقوس الرّابطة_الختان_ الوضع- الزّواج- الطبخ التّقليدي....الخ). وسنبدأ أولا ب:

4-1طقوس حفرة الرّابطة:

من المقرّر شرعاً أنّ المرأة إذا توفّي عنها زوجُها؛ فإنّها تعتدّ لوفاته لمدة 4 أشهر وعشرة أيام، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة :234] ، والمرأة **"الرّابطة"** في عُرفِ أهْل توات، هي المرأة التي يُتوفّى عنها زوجُها، وسُميت بالرّابطة لأنّها تربط في بيتها، ولا تخرج منه إلاّ بعد تمام العِدّة التي حدّدها الشّرع، وخلال هذه المدّة تزورها النّسوة، وتقدم لها بعض المساعدات المادّية والمعنويّة مثل (البصل،القمح،الشعير....الخ) والبعض الآخر يحضر مبالغ ماليّة، كلٌّ حسب استطاعته .

وبعد خروجها من العِدّة، تذهب إلى مكان خارج القصر توجد فيه حفرة أُعدت خصّيصاً لها تسمى "حفرة الرّابطة" وصَفَها الكاتب وصفاً دقيقاً في الرّواية فقال: « هي حفرة شبهُ عميقةٍ من عمقها الأفقي تشبه تماماً مدخل كهفٍ أو مغارة مخيفة، المكان يفرض على المارّ كيفما كان أن يلبس عباءة الرّهبة المختلطة بالخوف، كتلك التي تُعطى عادة للأماكن التي يعتقد أنّها مسكونة من الجان والعفاريت، ولاسيما وقت القيلولة صيفاً، أواخر أيام الشّهر ليلاً. بيدَ أنَّ ما أعطى للمكان وحشةً حقاً هو تلك الثّياب البالية المرمية والمحروقة بأشعة الشّمس، والتمائم الكتّانية والجلدية العتيقة، وكذا الأقداح الطّينية القديمة المكسرة والمتناثرة بين تلك الثّياب البالية والتمائم المحجبة، عند مدخل تلك الحفرة للرّابطات اللّائي فسخن ثياب عدَّتهنّ في الخوالي من تاريخ القصر»[13]. فالمكان مُرهِب ومُخيف: نظراً لما يمتاز به من عوالمَ مفتوحةٍ على الجنّ والعفاريت والتّمائم، فحاله كحال بيت الطّالب "أيقش" الذي يدلّ على الوحشة والرهبِ والخوف، لكونه له علاقة بعالم الجان والعفاريت هو أيضا، وذلك غير خفيّ على سُكّان القصر؛ لأنّهم كانوا يلجأون إليه لحلّ مشاكلهم وقضاء حوائجهم بواسطة السّحر والشّعوذة.

وبعد أن تخرج المرأة الرابطة من بيتها إلى هذه الحفرة، تفسخ كلّ تلك الثّياب البالية، وكلّ ما كان يلازمها في رباطها من تمائمَ وأوانٍ طينيّةٍ وترتدي ملابسَ زاهيةً؛ وذلك دليلٌ على انتهاء الحزن وقطع الصّلة بأحزانها السّابقة، وفسح مجال للسّعادة،وإقامة علاقة وصلة جديدة بالواقع الجديد مظهرياً ونفسياً ،كما تقيم حفلاً ووليمة كبيرة بالمناسبة. كما تمثل هذه الحفرة فضاءً أُسطورياً تجلّى لنا حينما التقى الدرويش الزّيواني بشخصياتٍ أسطوريّة متداولة في

المعتقدات الشّعبية مثل: "مرّوشة" الفاتنة الجمال التي قال فيها الشلاّلي قصائد الحبّ والغرام، والشّيخ "شمهرون" وهو شيخ الجان وقاضي قضاتها وصاحب التعاويذ السّحرية .

وعن طريق استحضار مثل هذه النّماذج من الرّواية حول "حفرة الرّابطة"، نكون قد أعطينا صورة واضحةً عن الطّقوس التي كانت تُقام للمرأة المعتدّة في منطقة توات.

كما نجد أنّ بعض هذه الطّقوس والعادات موافقٌ للشّرع، وبعضها الأخر مخالف له؛ كالذّهاب للحفرة المسكونة من قِبَل الجنّ والعفاريت؛ وبحكم وحشيتها وعزلتها تصلح لأن تكون سكنا لغير الإنسان،كما نجد بأنّ هناك اختلافاً وتبايناً في هذه الطّقوس نظراً لتعدّد الممارسات الثّقافيّة والاجتماعية بتوات.

2-4 طقوس الولادة:

وتظهر هذه الطّقوس في عدّة أشكال؛ وهذا على غرار ما مرّت به والدة الرّوائي من مراحل صعبة ومؤلمة خلال حملها السّابق؛ نظراً لفساد الحمل أو طرحه قبل أوانه، أو أن يكون ميلاداً لطوبة(بنت) التي لا حقّ لها في الميراث؛ كون الثّروة حبست من طرف الجدّ الأكبر للذّكور دون الإناث.

فعندما أحسّت والدة الرّوائي بألم المخاض، اتّصلت بقابلة القصر وعرّافته "عيشة مباركة" التي ورثت الصّنعة عن أمّها، وتسمّى أيضاً في العرف التواتي "قطّاعة الصّرة" وهذا لأنّها تساعد المرأة على الولادة وتفصل جنينها عنها، كما كانت تساعد القابلة عيشة أمباركة ابنتها "النايرة" التي قال عنها الرّوائي« امتدت يداها تحت إبطي الأيمن والأيسر حيث شعرت بأنّ كفاً خشنةً تلامس جلدي الرّخو الذي ما زال يقطر منه زلال المخاض، ما أحدث حركة لزجة بين جسدي الرّخو وكفها الخشنة»[14].

وبعد وضع المولود تتلقّى الأمّ عناية خاصة، فيقدمون لها وجبة غنية تساعدها على تخطّي آلام المخاض، تسمى الفياض(بيضة نية+ الدمشي أو الجلبان)، والسّفوف والحليب وبعدها يقدّمون لها بيضةً مسلوقةً تكمد بها عينها، ويذبحون لها دجاجة أيضاً. وإذا كانت المرأة تلد للمرة الأولى، فإنّها تقيم عدّة النّفاس أربعة أسابيع وعشرة أيام في بيت أهلها، أمّا إذا كان مولودها الثّاني أو الثّالث، فإنّ أمّها تأتي لتساعدها في بيت زوجها.

ولأنّ ميلاد طفلٍ جديدٍ مناسبة سعيدة؛ فإنّها تستحق أن تقام لها عدّة طقوس؛ يتمّ الالتزام بها عند سكّان أهل توات بدءًا من قطع الحبل السّريّ الذي يدلّ على إدماج المولود الجديد في الحياة الاجتماعية، إلى غاية طقوس التّسمية، وخروج المرأة النّافسة من النّفاس.

3-4 طقوس التسمية(الأسبوع).

وإذا كانت هذه هي طقوس يوم الولادة، فإنّه في يوم التّسمية تقام له العقيقة "المسماة خروف الدمان" وتقام وليمة كبيرة تحضرها العائلة والأحباب وأعيان القصر، ويتمّ اختيار اسمٍ للمولود، ومن الأعراف عند أهل توات أنّهم يسمّون المولود الأوّل للأسرة على جدّه من أبيه إذا تُوفّي، ويكرهون تسميتَه به وهو على قيد الحياة؛ لأنّ ذلك يُنذر بوفاته، والشّيء نفسه بالنّسبة للبنت، فإنّها تُسمّى على جدّتها لأبيها. فيقول عن ذلك الرّوائي « ليس الأبناء من يسمونهم آباؤهم على أجدادهم كحال تسميتي فحسب، بل حتّى البنات لهن من اسم جداتهن نصيب»[15].

وقد كانت الأسماء في ذلك الوقت تأخذ عدّة أبعادٍ؛ فمثلاً إذا ولد المولود يوم الجمعة يسمّى(بوجمعة) والبنت (جمعة)، وإن ولد في رمضان يسمّى(رمضان)، أمّا في وقتنا الحالي وبفعل الحضارة و امتزاج الثّقافات وتقارب المجتمعات، دخلت أسماء جديدة للعرف التواتي مثل "نسرين"، "كرمال"، "شرهان"، واندثرت أسماء عتيقة(كمبريكة، بيدارة، قامو، عيشة، مباركة، الداعلي، العيد.....الخ).

وكما أسلفنا الذكر، فقد أقيمت وليمة كبيرة حضرها مسؤول القصر سيد الحاج عبد السّلام، وحضر من الشّرفاء مولاي إسماعيل، ومولاي السّعيد، ومولاي الزّين، وشيوخ القبائل وأعيانها وكامل الجيران، فوزّع الملفوف أولاً، وبعدها حلّق الحضور في شكل حلقاتٍ؛ في كلّ حلْقة عشَرة أشخاص، وبعدها « جِيء بالقصعة الخشبية المغطّاة بالمكبّ، كانت تلك القصاع المملوءة بالكسكس الممرّق قد وضع عليها عطاري من اللّحم مربوط بسعفة خضراء.....ولمّا يبلغ الأكل ثلثَه أو يكاد، يبدأ أحد المتحلّقين بالتّيامن في توزيع اللّحم بعملية تسمّى التسمار»[16].

وبعد الفراغ من الأكل، وقبل أن يقوم الطّالب سيد الحاج لكبير بمراسيم قراءة ختم السّلكة، قرّر والد الزيواني تسمية المولود « قال أبي للحاضرين و ينظر للطالب الحاج لكبير ولأعمامي الكبار:

لقد أسميته على والدي لمرابط.

وهو فال يتبرّك الرّجل باسم أبيه قصد عضّ المسمّى على تركة المسمّى عليه من السّباخ، والفقاقير، والمطامير والزيوان.....»[17]، ومن الطّقوس أيضاً التي كانت تقام آنذاك أن يؤذّن للصّبي الصّغير في أذنه اليمنى، وقد اغتنم الوالد فرصة وجود الأعمام في الوليمة فطلب من العمّ "حمو" الأصغر فعل ذلك.

4-4طقوس الختان:

إنّ أصل كلمة الختان في اللّغة هو اسم لفعل الخَاتن، ويسمّى به موضع الخَتن، وهو الجلدة التي تقطع والتي تغطّي الحشفة، وأصل الختن، القطع ويقال أظحرت ختانته إذا استقصت في القطع وتسمى الدعوة لذلك ختاناً[18].

والاعتقاد الشّعبي السّائد عند أهل توات هو ضرورة إجراء الختان؛ لأنّ هناك التزاماً دينيّاً بضرورة إجرائه وتطهيرا للطفل من النّجاسة « ومن هنا جاءت تسمية الطّهارة التي تطلق عليها، حيث إنّها تطّهر الأطفال وتجعلهم على استعداد للقيام بالممارسة الدّينية مستقبلاً، بالإضافة إلى الاعتقاد بأهمية هذه العملية بالنّسبة للزّواج والإنجاب في المستقبل»[19]، وأهل توات يهتمون بعملية الختان، ويسمونها أيضاً بمصطلح "الزّيانة".

وينطلق الاحتفال في توات بيوم قبل الختان، حيث يُحلق رأس الطفل بحِلَاقة تسمى "التقوريرة"، ويخرج لزيارة ضريح ولي القصر على إيقاع لعبيد وتضرايت النسوة وبعد الرّجوع يتعشّى وينام، كما حدث مع الرّوائي.

وفي الصّباح الباكر من يوم **"الزّيانة"**، تستيقظ النّسوة باكراً لتحضير الوليمة التي تعدّ للحضور، والشّائع عند أهل توات طبق الكسكس مع اللّحم والبيض، ويحضر معه خصّيصاً للطّفل المزيّن قدحاً طينيّاً مملوءاً ب"المردود"، وفوقه نصف دجاجة، إضافةً إلى البيض المسلوق. وبعد أن يتطهّر الصّبي يلبس عباءة بيضاء واسعة، و"شاشا" أبيضَ، كما حدث مع الرّوائي، ويكتحل وتوضع له الحنّاء في يديه ورجليه ، وتعلّق له على قدميه تمائمُ مربّعة من الكتّان الأبيض، ومعها مسمار حديديّ، وصُرة "أمّ النّاس"، وتعلّق في رجليه.

وبعدها يُستدعى الطّبيب الذي يسمّى عند أهل توات "الزّيان" فيحضر معه أدواته التّقليدية(زيت الزيتون- قطعة قماش- موس حادّ) ، وبعد إتمام طقوس الزيانة تتوافد النّسوة على بيت لمزيّن للتهنئة، ويُحضر بعض النّسوة معهم النّقود، والبعض الآخر يحضر البيض، وهذا ما حدث مع الرّوائي يوم ختانه، فقد أحضرت له زوجة عمّه الكبير تسع بيضاتٍ كما قال « فقد حملت زوجة الكبير منهم لأمي تسع بيضات....»[20].

ومن أعراف أهل توات أيضاً، أن يقطع للطّفل "المزيّن" بعد العصر جريدةَ نخلٍ خضراء، ينزع منها الشّوك والسّعف، وتتّخذ كعصا عكّاز، يتخطّى بها الطّفل السّاقية ثلاث مرّات، وذلك بتقديم الرّجل اليمنى على اليسرى، واستعمال العصا الخضراء والسّاقية المملوءة بالماء له دلالة رمزية؛ تتمثّل في تجديد الحياة والنّماء. و يبقى هذا الطّفل في البيت ويلقى عنايةً خاصّة إلى أنْ يُشفى تماماً، ويحضر لمرحلة البلوغ ويصبح قادراً مستقبلاً على تجديد النّسل.

4-5 طقوس دخول الطّفل للمدرسة القرآنية(أقربيش)

يحرص أهل توات على تعليم أبنائهم في الكتاتيب، فيتعلّم فيها ابنُ الفقير والغني على حدّ سواء، ولا فرق بينهما؛ نظراً لمجّانية التّعليم، ولكون مُدرّس القرآن بمنطقة توات في ذلك الوقت لا يتقاضى أجراً، ولكن تُقدّم له بعض المساعدات والهدايا ويحتسب الأجر عند الله.

ويطلقُ أهل توات على المدرسة القرآنية اسم(أقربيش)، والكلمة زناتية؛ وتعني المدرسة القرآنية أو الكتاتيب القرآنية[21]. وفي يوم دخول الطّفل لأقربيش يلبس عباءةً وشاشاً أبيضَ، ويوضع له الكحل في عينيه، ويقدّم له لوح خشبيّ أملس مصبوغٌ بالصلصال، وعند بلوغ الكتّاب يحضر الشّيخ(الدواة) المملوءة بالسّمغ المسود بدخان القِدْر، وقلمٍ من القصَب، ويستفتح له على اللّوحة بالبسملة والصّلاة على النّبي، ويكتب له الحروف(أ، ب، ت،ث...الخ) ، ومن العادات التي تسرّ قلب الصّبيان في المدرسة القرآنية مناسبة(العُرفة) والتي يلبسون فيها الجديد، وتزخرف لهم اللوحة، ثم يطوفون أرجاء القصر، فيجمعون قدراً معتبراً من القمح والبيض والنّقود.

ومن عادات التّدريس بالمدرسة القرآنية أيضاً، مناسبة تدعى(السّلوك)؛ أيْ أنّ الطفل قد سلك على القرآن من أوله إلى آخره، وليس بالضّرورة الحفظ ، فتقام له وليمة على شرف المناسبة، ويدعو الوالد من خلالها سكّان أهل القرية والأحباب، ويحضر الطّفل لوحه، ويرسم عليه صورة مسجد، ويكتب فيها الثّمُن الأوّل من حزب "يستبشرون" من سورة آل عمران، وذلك ما حدث مع الرّوائي يوم سلوكه[22].

وقد كان دخول الرّوائي للمدرسة القرآنيّة في سنّ مبكّرة، مجردَ تمهيدٍ للالتحاق بالمدرسة الابتدائية، وهو حال كلّ الأطفال بتوات في سن(4-5 سنوات). فتلقّى بها مبادئ تعليمه الأولى، ليلتحق بعدها بالتّعليم المتوسط والثانوي ثم الجامعيّ .

4-6 بعض العادات والتّقاليد الأخرى.

تزخر الرّواية بمجموعة من العادات والمعتقدات التي لا يسعنا شرحها بالتّفصيل في هذا المقام؛ كالشّراطة وطقوسها، تضرايت، تمليمان، همرمر، وبعض الألعاب التّقليدية مثل: الغمّيضة، والحفيرة، وتصيد الطيور وبعض المأكولات التقليدية كالكسكس، والمردود وخبز أَنُّور، والخبز المبطن والكسرة والتقدير وتكبوس والحريرة وخبز القلّة، وإضافة إلى ذلك كلّه فقد أشار الرّوائي في الرّواية إلى اللّباس التّقليدي الذي يلبسه الرجل كالعمامة والعباءة، واللّباس التّقليدي الذي تلبسه المرأة كالعباية، الإيزار، المحرمة، والبيّاتة، وأدوات الزّينة التقليدية التي كانت تستعملها؛ من حنّاء، وكُحل وحُلي، إضافة إلى طقوس المشّاطة التي كانت تحلّ محلّ الحَلَّاقَةِ حديثاً.

ومن **المعتقدات** عند أهل توات أيضاً، والتي تعتبر من « أشق عناصر التّراث الشّعبي في التّناول وأصعبها في الدّراسة والبحث؛ ذلك لأنّها خبيئة في صدور أصحابها، وتتشكل بصورة مبالغٍ فيها أو مختلفة، ويلعب فيها الخيال الفرديّ دوره ليعطيها طابعاً خاصاً»[23]. نجد طقس همرمر من أجل رفع البأس وطرد الأرواح الشّريرة، وذلك على حدّ قول الرّوائي: «...فرأى النّاس في هذا العام بالقصر عام الرّمادة ما جعل مسؤول القصر الحاج عبد السّلام لأن يستدعي عيشة أمباركة بنت بلّة؛ لتقوم بطقس همرمر، رفقة ابنتها ومعاونتها النّايرة»[24]. وبعدها تقوم بقطع جريدة من النّخلة الخضراء، وتنزع منها الشّوك وتُسيّر السّعف سيوراً رقيقة، وتُعدّ خليطاً يسمّى "أخضخوض" من السّوائل ومسحوقات بعض الحشائش كورق الحنّاء والمجبور، والقرطوفة، وتضعه في قدحٍ، وتطوف أرجاء القصر، وكلّما وقفت أمام بيت، علّقت لها ربَّةُ بيتٍ بتلك الجريدة خيطاً من بيتها حتى تُكمل كلَّ البيوت.

وفي أثناء دورانها على البيوت، تردّد معها ابنتُها ومعاونتها والصّبيان: (همرمر علي، ترفع يالباس عقود النبي)[25] ولما تنهي دورانها تذهب خارج القصر، وتحفر حفرة لتلك الجريدة المملوءة بالخيوط وتدفنها، حتى يذهب الوباء والأرواح الشّريرة.

وهذه الصّور الاجتماعية المنقولة كانت سائدة بشكل كبير في مختلف المناطق الإسلامية، وبشكل متفاوت بفعل عصور الضّعف والانحطاط والجهل والتخلّف الذي ساد مناطق واسعةً من العالم الإسلاميّ، وزادتها الموجة الاستعمارية تكريسا وتوسّعا، قبل ظهور الدعوات الإصلاحية التي حاولت قدرَ جهدها تصحيح المفاهيم الخاطئة حول العقيدة الإسلامية وتقوية الجانب الإيمانيّ لدى الإنسان المسلم، والعمل بكل جدّ لمحاربة الفكر الخُرافيّ، وكلّ ما يتنافى وتعاليم القرآن الكريم، الذي يقول: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

[الزمر : 38]

وورد في كتاب فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد وإنما كانوا يدعونها على معنى أنّها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنّهم يكشفون الضّرّ، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أنّ ذلك لله وحده،كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[النحل :53] قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر[26].

وورد عن عمران بن حصين رضي الله عنه " أنّ النّبي صلي الله عليه وسلّم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال من الواهنة. فقال: انزَعْها فإنّها لا تزيدك إلا وهَنا؛

فإنّك لو مُتّ وهي عليك ما أفلحت أبدا "رواه أحمد بسند لا بأس به[27]. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتابه(القول المفيد على كتاب التّوحيد) مستنبطا أهم الفوائد وهو يشرح هذا النّص الشّريف: :" ففي هذا الحديث دليل على عدة فوائد: 1- أنّه ينبغي لمن أراد إنكار المنكر أن يسأل أولا عن الحال؛ لأنّه قد يظن ما ليس بمنكر منكرا، ودليله أن الرسول صلّى الله عليه وسلم قال: " ما هذه ". والاستفهام هنا للاستعلام فيما يظهر وليس للإنكار، وقوله الرجل: " من الواهنة ": من للسببية؛ أي: لبستها بسبب الواهنة، وهي مرض يوهن الإنسان ويضعفه، قد يكون في الجسم كلّه، وقد يكون في بعض الأعضاء كما سبق. 2- وجوب إزالة المنكر؛ لقوله: " انزعها "، فأمره بنزعها؛ لأنّ لبسها منكر، وأيّد ذلك بقوله: " إنّها لا تزيدك إلا وَهَنا "، أي: وهنا في النّفس لا في الجسم، وربما تزيده وهنا في الجسم، أمّا وهن النّفس؛ فلأنّ الإنسان إذا تعلّقت نفسه بهذه الأمور ضعفت، واعتمدت عليها، ونسيت الاعتماد على الله عزّ وجلّ، والانفعال النّفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان؛ فأحيانا يتوهّم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحيانا يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحا؛ فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النّفسية يكون أصل إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتى يظنّ الإنسان أنّه مريض بكذا أو بكذا؛ فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة. فهذا الذي لبس الحلقة من الواهنة لا تزيده إلا وهنا؛ لأنّه سوف يعتقد أنّها ما دامت عليه فهو سالم، فإذا نزعها عاد إليه الوهن، وهذا بلا شك ضعف في النفس"[28].

وفي مقال مهم للباحث وجيه البعيني يحمل عنوان:"المعتقدات الخرافية الشعبية الإصابة بالعين" تفسيرات نفسية بالغة الأهمية لهذه المعتقدات التي ما زالت تعمل عملها حتّى في أوساط من نالوا نصيبا من العلم وقدرا من الشّهادات العلمية، حيث" يظهر في سلوك البشر رغم تزودّهم بالعقل والمنطق، نوع من الجنون يتجلّى في اعتقادهم بالسّحر والشعوذة والخرافة، في هذا الصّدد، يرى "كارل يونغ" أنّ اللاوعي الجماعي البشريّ تجتاحه موضوعاتٌ خرافيّة؛ كالأرواح والشّياطين والجنّ والعمالقة والغيلان ... هذه الصّور يسمّيها يونغ" الأنماط القديمة"وهي موجودة في كل الأديان البدائية، وفي قصص الجنيّات والحكايات الشّعبية"[29]، ومن هنا ومن جرّاء سيطرة هذه الأنماط القديمة على تفاصيل حياتنا النّفسية، " ينغمس لاوَعْيِنَا، حسب يونغ، في "الروح الجماعيّة التّاريخيّة"، إنّه يرث هذه الصّور السّلفيّة، المتأتّية من الأزمنة الغابرة، والتي يتمثّلها كلٌّ منّا منذ الولادة. هذا اللاوعي يحمل في طيّاته كلَّ حالات القلق البشريّ عبر التّاريخ، إضافة إلى بقايا الصّراعات التي نعيشها في طفولتنا، تشكّل هذه الأنماط لقدمها، جزءا من حضارتنا؛ لهذا كانت الخرافات من عوامل العيش المشترك"[30]

ومن المعتقدات التي كانوا يؤمنون بها في ذلك الوقت اللّجوء إلى المشعوذين والسّحرة، وكُتّاب الجداول والطّلاسم من أجل قضاء بعض الأمور المستعصية. وهذا ما حدث مع الرّوائي عندما اكتوى بنار حبّ وعشق "أميزار"، فشكا حاله لعمّته "نَفُّوسة" وهي اقترحت عليه بدورها الذّهاب إلى الطّالب "أيقش" مُرِدّدَة المثل الشّعبي القائل(اللي ما جابوا المكتوب يجيبوه لكتوب)[31] ، فالنّاس كانت تلجأ إليه بالقصر من أجل حلّ مشاكلهم؛ لأنّه كانت له علاقة حميمة بعالم الجنّ والعفاريت، كما لجأت إليه العمّة نَفُّوسة لمعالجتها، وذلك من جرّاء ما أصابها من مرض نفسيّ بعد صدور قانون الثّورة الزّراعية.

ومن المعتقدات أيضاً التي كانوا يؤمنون؛ بها زيارة الأضرحة والأولياء، واللّجوء إليهم لطلب العون والتّوسّط بهم لدى الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك نجد من بين الأضرحة التي كان سكان القصر يتودّدون إليها ضريح مولاي عبد الله الرّقاني بقصر رقّان، والذي تقام له وَعْدَة سنويّة في الفاتح من شهر ماي، يحضرُها النّاس من شتّى البقاع والأصقاع، وكلُّ واحد له غرضه ونيته ومقصده، ولكلّ امرئ من هؤلاء ما نوى. وفي نظر "بورايو" فإنّ الأولياء الصّالحين هم« رجال مقرّبون إلى الله، لهم إمكانيات الاتّصال به أكثر من غيرهم، ولهم مقدرة عجيبة على الأفعال الخارقة، والمعجزات، وتظلّ لهم نفس المقدرة بعد وفاتهم، ويظلّ الضّريح رمزاً لهذه القدرة على الفعل»[32]. وطبعا هذا حسب وجهة نظر المعتقدين بذلك، وإلاّ فإنّ الحقيقة القرآنيّة تؤكّد على أنّ الأولياء هم أشخاص قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا، وأنّهم جمعوا بين الإيمان بالله تعالى، وحقّقوا مفهوم التّقوى على أتمّ وجوهها، وأنّ الله تعالى قد يؤيّدهم ببعض الكرامات، لاختبار مدى إيمانهم وعبوديتهم وإخلاصهم، حتى يستمرّوا في تبليغ المنهج القرآني، أمّا تلك الهالة التي يضفيها النّاس عليهم بعد وفاتهم، واختراع مجموعة من الخرافات والأساطير حولهم بعد وفاتهم، إنّما تحدث لعدّة دواعي وبواعث؛ منها ما يتعلّق بتحقيق السّلطة الروحية على الغير، ومن ثمّ تحقيق المآرب الشّخصية الضيّقة المتسترة تحت الغطاء الدّيني المزيّف، ومنها ما يتعلّق بتحقيق التّعويض النّفسي اللّازم لفقدان الشّخصيات القويّة التي غيرت مجرى التّاريخ في زمانها، وأدّت واجباتها المنوطة بها، فيتمّ بعثهم من مراقدهم ونسبة مجموعة من الكرامات المخترعة حولهم لتسلية أنفسهم عن الوضع التّعيس من كلّ جوانبه الذي يعيشون فيه، ومن هنا نراهم يتمسّكون بتلك المعتقدات، ويرون بأنّها الوسيلة الأساسيّة، والمناسبة لتحقيق الغايات والأهداف.

5-خاتمة:

من خلال رحلة هذه القراءة عبر صفحات رواية مملكة الزيّوان، فإنّه قد استوقفتنا مجموعة من العادات والتّقاليد والمعتقدات، سجّلها الرّوائي بكل صدق وأمانة وبراعة سردية

مشوّقة ومحفّزة لاهتمام القارئ، الذي لا يكاد يقرأ بضع صفحات حتّى يجد نفسه مشدوداً بقوّة إلى متابعة القراءة، وكأنّ سرّاً خفيّاً أو هاتفاً سريّاً يدعوه إلى التوغّل أكثر في العوالم السّاحرة والفاتنة لكنوز الصّحراء ومآثرها، وقد أمكنتنا هذه القراءة من الوقوف على جملة من الدّلالات والملاحظات والمعطيات يمكن حصرها فيما يلي:

- تزخر رواية مملكة الزّيوان بمجموعة من المتناصّات الشّعبية والمتمثّلة في العادات والتّقاليد والمعتقدات الشّعبية التي تعكس ثقافة أهل توات(كالولادة وطقوسها- الختان- حفرة الرابطة....الخ) والتي يمكن أن تمنح الباحث في حقول الأنثربولوجيا المادّة الخام التي يمكن الاعتماد عليها في وصف بعض الممارسات الاجتماعية .

- إن توظيف الرّوائي للتّراث الشّعبي في روايته كان بدافع تعريف القارئ بما يجهله عن حياة القبائل في الصّحراء الجزائرية (توات) .

- محاولة بعث التّراث الثّقافي الصّحراوي من مرقده، وإضفاء الحيوية والحياة والنّشاط عليه، وتعريف الآخر به، بغية الولوج لبوابة العالمية، والتي دخلتها العديد من الأعمال الأدبية الخالدة لكونها انطلقت من ساحة المحليّة، الزاخرة بتلك العوالم السّاحرة الآسرة.

- العمل على إيجاد السّمات المشتركة والرّوابط الثّقافية والشّعبية بين التّراث التّواتي، ونظائره من أشكال التّراث العربيّ المنتشر في شتّى البلاد العربية، وإيجاد القواسم المشتركة بين هذه الثّقافات ومن ثمّ تحقيق المعرفة الجيّدة وتقديم التأويلات الصّحيحة لأنماط السّلوك وخصائص التّفكير.

- لقد دلّت العادات والتّقاليد والمعتقدات في الرّواية على أبعادٍ ودلالاتٍ مختلفة، منها ما دلّ على تجسيد الأصالة والتّمسك بالهوية؛ كالعادات والتّقاليد المتعلّقة باللّباس والأكل الشّعبي[1]، ومنها ما دلّ على الجانب المقدّس كطقوس الدخول للمدرسة القرآنيّة وزيارة أضرحة الأولياء.

- للعادات والتّقاليد والمعتقدات دور مهمٌ في الحفاظ على ذاكرة الشّعوب وتراثها، وبتوظيفها في رواية حاج أحمد الصديق، تم تدوينها وحفظها من الزّوال، بطريقة غير مباشرة. وهذه العادات والتّقاليد فيها ما هو إيجابيّ ينبغي استثماره وضمان استمراريته وتواصله بين الأجيال، لما له من تأثيرات مهمّة في تقوية العلاقات الأسريّة، وضمان متانة وعمق النّسيج الاجتماعي، وحفظه من التّمزّق والتفسّخ والاندثار، وهناك الجانب السّلبي في هذه العادات والتقاليد خاصّة تلك التي كانت وليدة فتراتِ الضّعف والانحطاط الفكريّ، وهو ما ينبغي

نبذه فكرياً وعقَدِيّاً وعملياً، والتعرّض فقط لدراستها لمعرفة صورة المجتمعات في فترات معيّنة من تاريخها ومسيرتها الاجتماعية.

- إنّ بعض العادات التي صوّرتها رواية مملكة الزّيوان ضاربة في جذور وأعماق التّاريخ، ونجد لها نظائرَ بصورٍ وأشكالٍ شتّى في بعض الحضارات القديمة، ممّا يعزّز فرضيات التّواصل الحضاريّ، وانتقال الثّقافات وعوامل التّأثّر والتّأثير في فترات زمنيّة لا نعلم عنها شيئا، الأمر الذي يستدعي مزيدا من الأضواء الكاشفة، والدّراسات المعمّقة الدقيقة لاستكناه الحقائق وكشف الغوامض.

6-الهوامش:

[1]: الطاهر بليحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر 2000 ص09.

[2]: ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت ط1، 1997 ص317.

[3]: محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري(د.ت) (د ط) ص38.

[4]: ابن منظور، لسان العرب،م،س ص365-367.

[5]حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الثقافة دراسة في علم اجتماع التربية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2005 ص159.

[6]:محمد رشيد رضا، (ت 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، ج1، ص 130.

[7] : **كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816هـ)،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر**

دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م، ص149.

[8]: محمد الجوهري، الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب، القاهرة ج1 1998 ط1 ص45.

[9]:حاج أحمد الصديق، مملكة الزيوان، دار فيسير للنشر والتوزيع ط1 2013 ص11.

[10]: ينظر غلاف الرواية.

[11]: المصدر نفسه.

[12]:مقابلة شخصية مع الروائي حاج الصديق يوم 2 نوفمبر 2017 بجامعة أدرار على الساعة 16:00 مساءاً.

[13]: الرواية ص 15.

[14]:الرواية ص38.

[15]:لرواية ص99.

[16]:الرواية ص58-59.

[17]:الرواية ص59.

:ينظر. محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر
[18]القاموس ج18 ط2 ص172.

[19]:فارق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2007 ص111.

[20]:الرواية ص111.

[21]:أحمد أبا الصافي جعفري. اللهجة التواتية الجزائرية(معجمها، بلاغتها، أمثالها، حكمها، وبيوت أشعارها)، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع ط1،(د ت) ص44.

[22]:الرواية ص122.

[23]:فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي ط1، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2008 ص33.

[24]:الرواية ص210.

[25]:الرواية ص210.

[26]: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، وقف لله تعالى، 1403هـ/1983م، ص88.

[27] :محمد بن عبد الوهاب التميمي(1115هـ . 1206هـ)، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، أنصار السنة المحمدية، لاهور، باكستان، (دون تاريخ)، ص78.

محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، تحقيق، محمد صلاح،
[28]مكتبة الرحاب، ص 96.

[29]:وجيه البعيني، المعتقدات الخرافية الشعبية الإصابة بالعين، الحداثة (مجلة فصلية ثقافية تعنى بقضايا التراث الشعبي والحداثة)، رئيس التحرير: فرحان صالح، العدد الأول والثاني . السنة الأولى . صيف وخريف 1994م، بيروت، لبنان، ص123.

[30]:المرجع نفسه، 123.

[31]:الرواية ص211

[32] :عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة(د.ط) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص22

7-قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان ط1 1997.

2- أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية(معجمها، بلاغتها، أمثالها، حكمها، وعيون أشعارها)، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع، ط1(د ت).

3- الحداثة (مجلة فصلية ثقافية تعنى بقضايا التراث الشعبي والحداثة)، رئيس التحرير: فرحان صالح، العدد الأول والثاني . السنة الأولى . صيف وخريف 1994م، بيروت، لبنان.
4- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الثقافة، دراسة في علم اجتماع التربية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2005.
5- الصديق حاج أحمد ،مملكة الزيوان، دار فيسيرا للنشر والتوزيع ط1 2013.
6- الطاهر بليحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية منشورات التبيين الجاحظية الجزائر(د، ط)2000.
7- عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د.ط) 1986.
8- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، وقف لله تعالى، 1403هـ/1983م.
9- فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1 2008.
10- فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2007.
11- **كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816هـ)،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.**
12- محمد الجوهري، الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية دار الكتاب القاهرة ج1، ط1، 1998.
13- محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري(د ت)، (د ط).
14- محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، تحقيق، محمد صلاح، مكتبة الرحاب،القاهرة، الطبعة الأولى 2006م.
15- محمد بن عبد الوهاب التميمي(1115هـ - 1206هـ)، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، أنصار السنة المحمدية، لاهور، باكستان، (دون تاريخ).
16- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج18 ط2،
17- محمد رشيد رضا، (ت 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990
18- مقابلة شخصية مع الروائي حاج أحمد الصديق، يوم 02 نوفمبر 2017 بجامعة أدرار على الساعة 16:00 مساءً.